

تعدّد منظومات الآجرومية عند الشيخ محمد بن أبّ المزّمري
دراسة في المنهج والأهداف

**The multiplicity of manẓumat Al-Ajorromiyahof Sheikh Muhammad
bin Ubba Al-Mozammiri - A Study in the Method and Objectives**

مصطفى نورالدين¹

¹جامعة وهران 1 أحمد بن بلة (الجزائر)، mostefa.noureddine@edu.univ-oran1.dz

تاريخ الاستلام: 2023/01/30 تاريخ القبول: 2023/05/26 تاريخ النشر: 2023/12/10

ملخص: يندرج بحثنا هذا في مجال تعليمية النحو ومناهجه التراثية، وهو يسلط الضوء على بعض أعمال الشيخ الجزائري مُجّد بن أبّ المزّمري في هذا المجال، وبالتحديد منظوماته الأربع لمتن الآجرومية، وهدفنا هو محاولة الوصول إلى الغايات التي كان يسعى إلى تحقيقها من خلال تعدّد منظوماته للآجرومية، وبعد دراسة مقارنة بين بعض هذه المنظومات شكلا ومنهجيا ومضمونا، تبين لنا أنّ الدافع الأساسي يكمن في تحسين الجوانب العلمية والتعليمية؛ حيث كان ابن أبّ يسعى إلى تقديم المنظومة الأمثل التي تعين المتعلّمين على تحصيل علم النحو بسهولة وفعالية.

كلمات مفتاحية: المنظومات؛ النظم؛ الآجرومية؛ مُجّد بن أبّ؛ متون النحو؛ تعليمية النحو

Abstract:

This research is included in the field of teaching grammar and its traditional curricula. It sheds light on some of the productions of Sheikh Muhammad Ibn Ubba Al-Mozammiri in this field, specifically his four manẓumat of Al-Ajorromiyah. Thus, we aim to reach and understand the goals that he was seeking to achieve through the multiplicity of his manẓumat of Al-Ajorromiyah. A comparative study of some of these manẓumat, regarding methodology and content, shows us that the main motive lies in improving the scientific and didactic aspects..

Keywords: manẓumat; nazm; Al-Ajorromiyah; Ibn Ubba; grammar

المؤلف المرسل: مصطفى نور الدين، الإيميل: nor.adjmaoui@gmail.com

1. مقدمة:

عرفت المتون العلمية ازدهارًا منقطع النظير في الثقافة العربية الإسلامية، فبعد توسع العلوم وتشعب مسائلها وكثرة المؤلفات فيها، اتجه العلماء إلى تأليف المختصرات التي تجمع أصول العلم وتيسرها على المتعلمين، ثم تطوّر هذا النمط من التأليف شيئًا فشيئًا إلى أن وصل في العصر المملوكي إلى الذروة؛ حيث أصبحت المتون عموماً والمنظومات على وجه الخصوص ركناً أساسياً في التعليم، والوسيلة الوحيدة لتحصيل العلوم على اختلاف حقولها ومستوياتها.

وكان لعلم النحو القسط الوافر من ذلك النشاط التأليفي، فقد ألفت فيه عشرات المتون بين منثور ومنظوم، غير أنّها تفاوتت في الأهمية والشهرة، وقلة منها كتبت لها القبول لدى العلماء والطلّبة، وبقيت عبر قرون محطّ العناية والاهتمام بالتدريس والشرح والتحشية، على رأسها متن "الآجرومية" للمبتدئين، و"ألفية ابن مالك" للمتقدمين. غير أنّ متن "الآجرومية" لمّا كان نثرًا، والنثر قد يعسر حفظه، حاول كثير من العلماء نظمه، أي تحويله من صيغته النثرية إلى صيغة شعرية موزونة سهلة الحفظ والتذكّر، وكان من أبرز من نظمها الشيخ محمد بن أبي الجزائري (1160هـ)؛ فهو لم يكتفِ بنظم واحد لهذا المتن كما فعل غالب العلماء، بل أتبعه بثلاث منظومات أُخرى، ليكون مجموع منظوماته لمتن الآجرومية أربع، وهو عدد لافت للنظر يدعو الباحث إلى التساؤل عن سبب ذلك، وهنا تبرز إشكالية بحثنا، وهي لماذا تعددت منظومات الشيخ محمد بن أبي للآجرومية؟ وما طبيعة الدوافع والغايات التي جعلته يعود إلى هذه المقدمة لينظمها من جديد بعد أن كان نظمها قبل أربع وعشرين سنة، ثمّ يلحقها بنظم ثالث، فراجع؟

والفرضية الأساسية التي ينطلق منها البحث ويسعى إلى إثباتها، هي أنّ هذا التعدد كان الباعث عليه دوافع وغايات علمية تعليمية بالدرجة الأولى، فبعد النظم الأوّل الذي سار بين الطلبة واعتمده جلق العلم ومدارس التعليم، سجّلت عليه بعض الملاحظات والمآخذ، وقد يكون الناظم نفسه لمس مدّة تدريسه لهذا النظم للطلّبة بعض تلك الملاحظات والمآخذ، فحاول تلافيتها في المنظومات اللاحقة.

إضافةً إلى ما سبق، فإنّ البحث يهدف كذلك إلى:

- التعريف بعلم من أعلام المنظومات اللغوية الجزائرية، مازال مجهولاً لدى كثير من المتخصصين قبل العامة، ومازالت أعماله مخطوطةً مغمورة.

- إثبات منظومة الأجرومية المشهورة له، وتصحيح الوهم الشائع في نسبتها إلى ناظم شنقيطي.
- تسليط الضوء على إسهامات العلماء الجزائريين في مجال التأليف النحوي والمنظومات العلمية.
- الكشف عن الأسس البيداغوجية والمنهجية التي تقوم عليها المنظومات النحوية.
- وقد فرضت علينا طبيعة الإشكالية اعتماد المنهج المقارن، مع الوصف والتحليل.

2. مفهوم المنظومات العلمية:

2. 1 لغة:

المنظومات جمعُ منظومة اسم مفعول من نَظَمَ يَنْظِمُ نَظْمًا، و"النَّظْمُ: التَّأْلِيفُ (...) ونظمتُ اللؤلؤَ أي جمعته في السِّلْك، والتَّنْظِيمُ مِثْلُهُ، ومنه نَظَّمْتُ الشعرَ ونَظَّمْتُهُ" (ابن منظور، 2014، صفحة 14 / 294). فالدلالة المعجمية للكلمة تدور حول التأليف والجمع والضمّ على نحوٍ منتظم منسق.

2. 2 اصطلاحا:

يُقصدُ بالمنظومات المتون العلمية الموجزة التي جمعت أصول المسائل في علم من العلوم، والتي صيغت في قالب شعريّ على بحرٍ من البحور العربية المعروفة، وهي في الغالب الأعم على بحر الرّجز، ولذا قد تُسمّى كذلك بالأراجيز العلمية. فهي إذاً، تقوم على ثلاث سيمات أساسية: الإيجاز في اللفظ، والموضوع العلمي، والقالب الشعريّ؛ ولأجل هذه الخصائص فُضلت المنظومات على المتون النثرية، وشاعت بين الطلبة والعلماء؛ لأنها أسهل حفظاً واستذكّاراً.

2. 3 بين المنظومات العلمية والشعر التعليمي:

المنظومات العلمية هي، كما رأينا، جزء من الثقافة التعليمية القائمة على "المتون العلمية" في عملية التعليم لدى العرب والمسلمين، فهي تنتمي إلى حقل العلوم لا الأدب. غير أنّ كثيراً من الباحثين والنقاد المحدثين يُطلقون على هذه المنظومات العلمية، مصطلح "الشعر التعليمي" (Didactic poetry)، المترجم عن الغرب، وهو مفهوم أدبيّ يشمل الشعر الذي قلّت شاعريته واتّخذ طابعاً تعليمياً كشعر الحكم

مثلاً، ولهذا يقول مُحمَّد مندور: "ومن الواجب أن نفرِّق بين هذه المنظومات وبين نوع من الشعر قد كانت له مكانته عند اليونان والرَّومان القدماء، ثم في الآداب الأوربية الحديثة، وهو ما يسمّونه كما قلنا بالشعر التعليمي الذي يُعتَبَر قِسْماً من أقسام الشَّعر الكبرى في الآداب العالمية، إلى جوار الشَّعر الملحمي والشعر الغنائي والدرامي" (مندور، 2006، صفحة 27). فالشَّعر التعليمي، إذًا، يختلف عن المنظومات العلمية، فإذا بقي هو في دائرة الشَّعر رغم قلة شاعريته، فإنَّ المنظومات ليس لها من الشعر إلاَّ قالبه الموزون.

3. التعريف بـابن أبِّ ومنظوماته للأجرومية:

3.1 ترجمة الشيخ محمد بن أبِّ:

هو الشيخ محمَّد بنُ أبِّ بن أحمد بن عثمان بن أبي بكر المزوريّ نسبًا، التَّوَاتِي منشأً وموطنًا، ووفاءً، وُلِدَ سنة 1094هـ في قرية تُسمَّى أولاد الحاج، بلدية تمقطن دائرة أولف ولاية أدرار جنوب الجزائر. (بلعالم، 2005، صفحة 1/ 89).

أجمع المترجمون له على مكانته العالية وقدمه الراسخة في العلم، فقد كان من أكابر علماء توات في وقته، تخرجت على يديه فطاحيل عدده، وألَّفَ تأليف شتَّى، قال عنه تلميذه عبد الرحمن بن عُمر التَّنَلَانِي: "شيخنا الفقيه الأديب النَّحْوِي اللُّغْوِي أبو عبد الله سيدي مُحمَّد بن أبِّ المزمرِي، كان رحمه الله فقيهاً أديباً نحوياً لغوياً صرفياً عروضياً، فائماً كلَّ من لقيه في الفنون الثلاثة الأخيرة، رائق الخطِّ شاعرًا مجيدًا، مقلِّعًا لا يُبَارَى فيه، ولا يُجَارَى من صِغَرِهِ إلى الآن" (بلعالم، 2005، صفحة 1/ 98).

قضَى حياته في العلم والتَّعليم، والانكبابِ على المطالعة والتَّأليف، إلى أن توفي يوم الاثنين العاشر من جمادى الأخيرة سنة (1160هـ)، بمدينة تميمون وبها دُفِنَ.

لَهُ مؤلَّفَاتٌ كثيرة تزيد عن الثلاثين، معظمُها ما زال مخطوطًا، منها (بلعالم، 2005، صفحة 1/ 91):

- أربع منظومات لمتن الأجرومية.
- أرجوزة في العروض سمّاها روائق الحلل في ذكر ألقاب الزحاف والعلل.
- نظم معاني بعض حروف الجر.

— أرجوزة في التصريف سمَّاها روضة النسرِين في مسائل التمرِين... وغير ذلك كثير من المنظومات والشروح.

ويلاحظُ على نتاجه العلمي غلبةُ جانب النظم العلمي في موضوعات النحو والصرف والعروض، فقد كان رحمه الله ناظمًا بارعًا لمسائل العلم.

3. 2 المقدمّة الأجروميّة واعتناء العلماء بها:

الأجروميّة (أو الأجروميّة) متنٌ نحويّ مختصر ألفه الشيخ مُحمَّد بن مُحمَّد بن داود الصنِّهَاجِي المعروف بابن آجرُوم (723هـ) للمُبتدئين في علم النُّحو، حيثُ اقتصرَ فيه على الأبواب الكبرى في النُّحو بلغة سهلة واضحة، وعرضٍ موجز، وترتيبٍ بديع. ولهذا اشتهر هذا المتنُّ بين الطُّلاب قديمًا وحديثًا شهرةً منقطعة النظير، وانتفع به الدارسون انتفاعًا عظيمًا، واعتمده أهل العلم كبنَّةً أساسيةً في تعلُّم النحو وتعليمه، فاعتنوا به عنايةً فائقةً، شرحًا وتحشية وإعرابًا ونظمًا. حتَّى قاربت شروحه 500 شرح (تبركان، 2021). ومن أهمِّ شروح الأجروميّة السَّائرة شرح الشيخ حسن الكفراوي، وشرح الشيخ خالد الأزهرِي، والتَّحفة السنِّيَّة للشيخ مُحمَّد محي الدين عبد الحميد.

ولم يقتصر الاهتمام بها على العرب والمسلمين، بل تعدَّى إلى المستشرقين الذين طبعوها وترجموها إلى اللاتينية والإنجليزية والفرنسيّة واعتمدها في التدريس وتعليم النُّحو منذ نهاية القرن 16م، يقولُ شوقي ضيف: "إنَّها مع إيجازها في تلخيص النُّحو ظلَّت وسيلة قيِّمة في بيان مقوِّمات العربية وأوضاعها الإعرابية لا ناشئة البلدان على اختلاف أعصارهم وتفاوت أمصارهم فحسب، بل أيضًا للمستشرقين الذين يريدون الوقوف على أوضاع الصِّياغة العربيّة وخصائصها النُّحوية" (ضيف، 1993، صفحة 16).

ومن أوجه العناية بهذا المتن إقبالُ العلماء على نَظْمِهِ، أي تحويله من طبيعته النثرية إلى قالبٍ شعريٍّ موزون يسهل حفظه واستذكاره. وقد فاقت تلك المنظومات العشرين نظمًا، منها: نظم إبراهيم بن إسماعيل المقدسي النابلسي (803هـ)، ونظم شرف الدين العمري (989هـ) وغيرهما كثير.

وكان لعلماء الجزائر إسهام في هذا المجال، فنجد: نظم الشيخ خليفة بن حسن القماري السُّوفي (1207هـ) (سعد الله، 2007، صفحة 162 / 2). ونظم مولود بن مُحمَّد الموهوب

القسنطيني(1349هـ)(الزركلي، 2002، صفحة 7 / 333). ونظم إبراهيم بن محمد الساسي السوي(1353هـ)(سعد الله، 2007، صفحة 8 / 45). ونظم أحمد بن قاسم البوني (1139هـ)(نويهض، 1980، صفحة 50)، ونظم محمد بن سليمان بن إدريسو (1298هـ)(نويهض، 1980، صفحة 15) ونظم محمد باي بلعالم (1430هـ) المسمى بـ "اللؤلؤ المنظوم في نظم منشور ابن آجرؤم" بلغت حوالي مائتي بيت.

وقبل هؤلاء برز الشيخ محمد بن أب بمنظوماته الأربعة، التي سنعرّف بها في العنصر الموالي.

3. 3 التعريفُ بمنظومات ابن أب للآجرؤمية:

للشيخ محمد ابن أب أربع منظوماتٍ لمتن الأجرؤمية:

1- أمّا المنظومة الأولى، فهي أشهر منظوماته على الإطلاق، وتأقي في 154 بيتاً من بحر الرجز، ألفها سنة 1120هـ، ومطلّعها:

1- قَالَ ابْنُ أَبِي وَاسْمِهِ مُحَمَّدٌ اللَّهُ فِي كُلِّ الْأُمُورِ أَحْمَدُ

وفي نسخة اشتهرت عند الشناقطة (علماء موريطانيا):

1- قَالَ عُبيدُ رَبِّهِ مُحَمَّدٌ اللَّهُ فِي كُلِّ الْأُمُورِ أَحْمَدُ

وللشناقطة اهتمام كبيرٌ بهذا النظم، وإليهم يرجع الفضل في شهرته والعناية به، غير أنهم نسبوه خطأً لناظمٍ شنقيطيٍّ، اختلّفوا في اسمه واتفقوا على تلقيبه بـ "عبيد ربّه الشنقيطي" (الكيفاني، 2011، صفحة 28)، وعرف هذا النظم عندهم بـ "نظم عبيد" أو "عبيد"، وقام عندهم مقام الأصل المنشور. ومَن شرّحه منهم:

1- محمد المحفوظ التّنواجويّ الشنقيطي: (الإيضاح المفهوم على نظم آجرؤم) 1995م.

2- الطالب عمر بن أحمد نال الله الموريتاني: (فتح القيوّم شرح نظم آجرؤم) ط1/1995.

3- محمد بن محمد بن حبيب الله الموريتاني: (إفادة المنتبه شرح على نظم عبيد ربّه) ط3/2003م.

4- الحاج بن السالك فحف الشنقيطي: (دليل الطلاب على ما قصدوا من ظاهر الإعراب) ط2/2002م.

5- زايد الأذان بن الطالب أحمد الشنقيطي: (مصباح الساري شرح منظومة عبيد ربّه الشنقيطي على المقدّمة الأجرؤمية) ط1/1999م.

- 6- مُجَّد المختار بن جمال الدين البعقوي (ذكره صاحب الإيضاح المفهوم)... وغيرهم كثير. وشرحه من غير الشناقطة:
- 7- مُجَّد بن بادي الكنتي (1388هـ): (مقدم العمي المصروم شرح على نظم ابن أبّ لأجروم).
- 8- أحمد الطاهر الإدريسي: (الدر المنظوم على ألفاظ نظم ابن أجروم).
- 9- أبو عبد الله سالم بن بوجمة التواتي: (تهذيب الدر المنظوم على ألفاظ نظم ابن أجروم).
- 10- مُجَّد بن توفيق بن عمار الكيفاني الجزائري، له شرحان: (الدرة الكيفيانية في شرح نظم عبید ربه للأجرومية). و(مختصر الدرّة الكيفيانية في شرح نظم عبید ربه للأجرومية).
- 11- مُجَّد رفيق الونشريسي الجزائري: (الثمرات الحليّة في شرح نظم الأجرومية).
- 12- أحمد بن عمر الحازمي: (فتح ربّ البرية بشرح نظم الأجرومية).
- 13- أحمد بن إسحاق الحنبلي: (الكواكب الدرّية في شرح نظم الأجرومية).
- 14- أبو زياد مُجَّد بن سعيد البحيري: (المُبهر في شرح نظم الأجرومية لعبيد ربه).
- والتّأظم ابن أبّ نفسه قد شرح منظومته هذه (بلعلم، 2005، صفحة 1 / 98)، لكن يبدو أنّه شرح مفقود، أو ما يزال مخطوطا.
- 2- وأما المنظومة الثانية فهي "نزهة الخُوم في نظم منثور ابن أجروم" كما سمّاها ناظمها، وجاءت في 140 بيتاً من بحر الرجز، نظمها سنة (1144هـ)؛ أي بعد 24 سنة من المنظومة الأولى. وهذه المنظومة على العكس من الأولى، لم تلقَ رواجاً كبيراً ولم تنل العناية اللازمة، فلا نكاد نجد لها شرحاً، إلا شرح الشيخ مُجَّد باي بلعلم الذي سمّاه (الرحيق المختوم لنزهة الخُوم)، وهو مطبوع لكنّه غير متداول.
- 3- وأما المنظومة الثالثة فهي التي سمّاها بـ "كشف الغوم في نظم مقدمة ابن أجروم"، وهيلامية من بحر الطويل، وتقعُ في 115 بيتاً، ومطلعها:
- لك الحمد يا إلهي يا من تفضّل
ومنّ علينا بالبيان وأجملاً
- نظمها عام 1157، وسجّل ذلك كعادته في الختام بقوله:

وَذَا مُنْتَهَى الْمَرْمَى فِي عَامِ سَبْعَةٍ وَخَمْسِينَ بَعْدَ الْأَلْفِ وَالْمِائَةِ أَنْجَلَا

ويرجع الفضل في الكشف عن هذه المنظومة والتعريف بها إلى الشيخ مُجَدُّ باي بلعالم الذي عثر عليها بين مخطوطات منطقة توات، وكانت قبله غيرَ معروفةٍ، ولذا لا يُعرف لها أيُّ شرحٍ أو عناية، إلا شرح الشيخ بلعالم المسمّى: "عون القيوم على كشف الغموم في نظم مقدّمة ابن آجروم"، ولم نَقِفْ عليه.

4- وأما المنظومة الرابعة: فقد ذكرها الشيخ مُجَدُّ باي بلعالم في "الرحلة العليّة"، دون أدنى معلومة حولها، فقد اكتفى في معرض سرد مؤلّفات ابن أْبِّ بقوله: "نظم رابعٌ على المقدّمة الأجرومية" (بلعالم، 2005، صفحة 1/96)، ولعلّه وَقَفَ عليه مخطوطاً.

وهكذا، فالمنظومة الأولى مشهورة معروفة مخدومة، وأما الثانية فغيرُ مشهورة ولها شرحٌ وحيدٌ مطبوع وهو منشور على الإنترنت. وأما المنظومتان الأخيرتان فلم نستطع الاطلاع عليهما، لذا سيكون بحثنا مقتصرًا على المنظومتين الأُولَيَيْنِ.

4. المقارنة بين منظومة "عبيد ربّه" ومنظومة "نزّهة الحلوم":

كما رأينا سابقاً، فقد نظم ابنُ أْبِّ الأجرومية أوّل مرّة سنة (1120هـ)، وهي المنظومة المسماة بـ"نظم عبيد ربّه"، وكان سنّه آنذاك ستّاً وعشرين سنة، ثمّ عاد لينظّمها ثانية سنة (1144هـ) في منظومة سماها "نزّهة الحلوم"؛ أي بعد أربع وعشرين سنة من النّظم الأول، وكان إذّاك قد بلغ الخمسين سنّة، حيث اتّسعت معارفه ورسخت قدمه في العلم، وزادت تجرّبه التّعليميّة.

لذا سنحاول المقارنة بين المنظومتين من ثلاثة جوانب؛ الشكل والمنهج والمحتوى، محاولين الوقوف على منهجه في النّظم، والأهداف المتوخاة من ذلك، مستكشفين الدوافع الكامنة وراء تعدّد هذه المنظومات.

وسنرمز للمنظومة الأولى "منظومة عبيد ربّه" بـ(مظ1)، ونرمز للمنظومة الثانية "نزّهة الحلوم" بـ(مظ2) اختصاراً.

1.4 من حيث الشكل:

1.1.4 الحجم:

كلتا المنظومتين تأتیان في حجم مقبول مقارنةً بالمستوى التعليمي الذي تمثّلانه، وهو مستوى المبتدئين، ف(مظ1) جاءت في 154 بيتاً، وجاءت (مظ2) في 140 بيتاً، وبالتالي فهي أوجز من الأولى بأربعة عشر بيتاً، وهذا يُوفِّقنا على هدفٍ من أهداف إعادة النّظم، وهو تقليص حجم المنظومة والتقليل من أبياتها، تسهيلاً لحفظها وترغيباً فيها على الطالب المبتدئ أمر حفظها. وما يؤكِّد هذا المسعى من النّاطم، أنّ منظومته الثالثة جاءت أوجز من سابقتها بكثير، إذ نظمها في 115 بيتاً كما سبق ذكره.

1.4.2 الوزن والضرورات الشعرية:

البحر الأساسي الذي تقوم عليه المنظومات العلميّة عموماً هو بحر "الرجز"، لسهولة وخفة إيقاعه المناسب للتكرار والتّرداد، إذ له جرسٌ مجلجل يطبع نفسه في الذاكرة على نحو أفضل من أي بحر آخر. وقد جاءت منظومتا ابن أب كلتاها على هذا البحر وفق ما تقتضيه قواعده المعروفة، إلا بيتاً واحداً من (مظ1) وهو قوله:

24- وَأَرْفَعُ بُنُونَ يَفْعَلَانِ يَفْعَلُونَ
وَتَفْعَلَانِ تَفْعَلِينَ تَفْعَلُونَ

فقد لحفته علةُ التّذييل"، وهي زيادة حرف ساكن على الوند المجموع في آخر التفعيلة، (يَفْعَلُونَ: 00//0)، وهي لاتلحق "مُسْتَفْعَلُونَ" في الرجز، بل تلحقه في البسيط كما يذكر العروضيون (الداميني، 1994، صفحة 226).

ونجد في كلتا المنظومتين بعض الضرورات الشعرية، مثل "وصل همزة القطع"، و"قطع همزة الوصل"، أي إبدال إحداها بالأخرى (ابن الصائغ، 2004، صفحة 2/774). ومثال ذلك في (مظ1) قوله: "13- أَلْعَرَابُ تَغْيِيرُ أَوَاخِرِ الْكَلِمِ"، وفي (مظ2): "121- وَأَعْمِلْ أَوْ أَلْغِ لَأ" حيث أبدل همزة القطع في الفعلين الرباعيين "أَعْمِلْ، وَأَلْغِ" بهمزة الوصل لضرورة الوزن. ومثال قطع همزة الوصل قوله في

(مظ2): "129-إِنَّصِبَ الْإِسْمُ". ولكن هذه الضرورات شائعة في المنظومات العلمية، درج عليها النظم المشهورون فلا بأس بها.

وقد وقع في بعض أبيات المنظومتين عيب من عيوب القافية يُسمى "التضمين"، وهو أن "تتعلق قافية البيت الأول بالبيت الثاني" (الداميني، 1994، صفحة 170)، بحيث لا يستقل البيت الأول في معناه وتركيبه، ويبقى مفتقراً افتقاراً لازماً إلى ما بعده، وهذا في الشعر معيب، وهو في المنظومات العلمية أشدّ عيباً؛ ذلك أنّها تقوم على الرّجز المزدوج أي كل شطرين منها بقافية موحدة، تختلف غالباً عن قافية البيت السابق واللاحق، ولهذا يكون الوقف على القافية في المنظومات أمراً ضرورياً من أجل الإحساس بإيقاع البيت المساعد على الحفظ، وإذا كانت هذه القافية غير مكتملة المعنى لتعلقها بما بعدها، تشتت ذهن الطالب وعسر عليه الحفظ والفهم.

وهذه الظاهرة قليلة في المنظومتين، ففي (مظ1) تصادفنا في ثلاثة مواضع، في الأبيات (61-62، 65-66، 81-82). وفي (مظ2) نجد ثمانية مواضع وقع فيها مثل هذا التضمين هي (18-26، 19-26، 27-28، 31-32، 56-57، 93-94، 109-110، 122-123). من ذلك قوله:

109- كَذَا: خَلَا عَدَا حَشًا، فَإِلَّا
تَنْصِبُ مَا اسْتُنِي بِهَا إِنْ حَلَا
110- بَعْدَ كَلَامٍ مُوجِبٍ قَدْ تَمَّ
كَجَاءِي النَّسْوَةَ إِلَّا سَلَمَى

فجملة الشرط في البيت الأول "إِنْ حَلَا" لم تكتمل ولم يتضح معناها إلا بقراءة صدر البيت الثاني. وإذا عدنا إلى سياق المقارنة بين المنظومتين، فإننا لا نجد في الجانب العروضي فرقاً كبيراً بينهما، يمكن أن يحمل دلالة على دافع من دوافع إعادة النظم.

4. 1. 3 السّلاسة والخلوّ من التعقيد:

إنّ طبيعة المنظومات القائمة على الاختزال اللفظي والتكثيف المعرفي، وما يُصاحبه ذلك من قيود الوزن، قد تُخرجها في عبارات معقّدة مقفلة المعاني، يصعب فهمها ويعسر حفظها، والناظم البارع من يفلت من ذلك كلّهُ ويُخرج نظمه في أسلس عبارة وأجزها، وأوضح إشارة وأبينها، وهذا ما حقّقه ابن أُبّ في كلتا منظومتيه.

ف(مظ1) تمتاز بالسلاسة ووضوح العبارة، وسهولة الألفاظ، وسلامة التراكيب، ولعلّ هذا ما جعلها تشتهر بين الطلبة وتجذب إقبالا كبيرا عليها لم يحظ به أيّ نظم آخر للأجرومية. ومثال ذلك قوله:

6- إِنْ الْكَلَامَ عِنْدَنَا فَلْتَسْتَمِعْ
لَفْظٌ مُرَكَّبٌ مُفِيدٌ قَدْ وُضِعَ
7- أَفْسَامُهُ الَّتِي عَلَيْهَا يُعْنَى
اسْمٌ وَفِعْلٌ ثُمَّ حَرْفٌ مَعْنَى

وهكذا غالبُ أبيات المنظومة، سهلةٌ سلسةٌ غير متكلّفة ولا معقّدة إلا في مواضع قليلة جدًا. و(مظ2) هي الأخرى، جاءت سهلةً سلسةً العبارة، غير أنّها لا تضاهي (مظ1) في سلاستها، لأنّ ابن أبي، كان يسعى إلى اختصار العبارة أكثر ممّا جعله أحياناً يأتي ببعض التراكيب المعقّدة الثقلية على لسان المتعلّمين، من ذلك قوله في "فصل التمييز":

104- مَيِّزْ بِمَنْكُورٍ بِنَصْبٍ يَأْتِي
مُنْبِهِمِ النَّسْبِ وَالذَّوَاتِ

فتكرار الجارّ والمجرور أثقل تركيب البيت كما هو ملاحظ. غير أنّ مثل هذه الأبيات قليلة نسبياً. وهذه النقطة كذلك لا نجد فيها ما يشير إلى دافع من دوافع إعادة النظم.

4. 2 من حيث المنهج:

4. 2. 1 توثيق المنظومة:

من عادة العلماء أنّ يجعلوا بين يدي منظوماته مقدّماتٍ تُسمّى بمقدّمة الكتاب، أو خطبة الكتاب، يذكرون فيها غالباً—بعد الحمدلة والصلاة على النبي ﷺ— اسم النّاطم، واسم المنظومة، وموضوعها والغاية من نظمها، فيكون ذلك توثيقاً للمنظومة وبياناً لمنهجها.

وقد سار ابن أبي وابن أبي في (مظ1) على هذا النحو، إذ يقول:

1- قَالَ ابْنُ أَبِي وَأَسْمُهُ مُحَمَّدٌ
اللَّهُ فِي كُلِّ الْأُمُورِ أَحْمَدُ
2- مُصَلِّيًا عَلَى الرَّسُولِ الْمُنتَقَى
وَأَلِهِ وَصَحْبِهِ ذَوِي النَّقَى
3- وَبَعْدُ فَالْقَصْدُ بِذَا الْمُنْظُومِ
تَسْهِيلُ مَنْثُورِ ابْنِ آجُرُومِ
4- لِمَنْ أَرَادَ حِفْظَهُ وَعَسْرًا
عَلَيْهِ أَنْ يَحْفَظَ مَا قَدْ نُثِرَا

فملاحظاً أنه افتتح المنظومة بذكر اسمه، ثم بعد حمد الله والصلاة على الرسول ﷺ والآل والصحاب، صرح بهدفه، وهو أن نظمه للأجرومية كان بغرض تسهيل حفظها على من أراد ذلك ووجد النثر صعباً عليه. وهذا الهدف الذي سطره الناظم يُعتبر الهدف الأساسي لكل نظم تقريباً، حيث يفضل النظم النثر في سهولة حفظه ويُسر مراجعته وسرعة تذكره، لما فيه من وزن وإيقاع مضبوط.

وفي (مظ2) لم يذكر الناظم اسمه ولم يُشير إلى الهدف من التّظم بصراحة، بل ألمح إليه من خلال

اسم المنظومة، حيث يقول:

4- وَيَعُدُّ أَيُّهَا الْحَبِيبُ الصَّافِي
5- فَذَا كِتَابٌ: "نُزْهَةُ الْحُلُومِ
الْمُتَلَقِّي الْحَقِّ بِالْإِنْصَافِ
فِي نَظْمِ مَنُثُورِ ابْنِ الْجُرُومِ"

ومن تمام التوثيق، إلحاق النظم بخاتمة تؤذن بتمام المقصود، وقد يُذكر فيها تاريخ التّظم، وعدد

الآيات. ففي (مظ1) اقتصر ابنُ أب على تاريخ التّظم بقوله:

151- قَدْ تَمَّ مَا أُتِيحَ لِي أَنْ أُنْشِئَهُ
فِي عَامِ "عِشْرِينَ وَأَلْفٍ وَمِائَةٍ"

بينما ذكر في (مظ2) التاريخ وعدد الآيات، بقوله:

136- وَقَدْ أَتَيْتُكَ فِي حُلَاهَا التُّزْهَةَ
137- سَنَةَ أَرْبَعٍ وَأَرْبَعِينَ
138- فِي مِائَةٍ وَأَرْبَعِينَ بَيْتًا
حَائِزَةً مِنَ الْجَمَالِ كُنْهَهُ
لِلْحَمْسِ وَالسِّتِّ مِائَةً
فَبِعَمِّ حُرّاً أَنْتَ إِنْ أَعْضَيْتَنَا

وفي ذكره لعدد الآيات إشارة إلى قلة النسبة إلى منظومته الأولى، فكأنه حقق هدفاً مما كان

يصبو إليه من إعادة التّظم وهو تصغير الحجم وتقليل الآيات كما ذكرنا سابقاً.

4. 2. 2 التبويب:

يأتي متن الأجرومية مقسماً على 26 باباً، بينما تأتي (مظ1) في 31 باباً، لأن الناظم قد عدّل

نوفاً ما في تقسيم أبواب المتن، فجعل "باب معرفة علامات الإعراب" أربعة أبواب هي "باب علامات

الرفع، وباب علامات النصب، وباب علامات الخفض، وباب علامات الجزم"، كما أفرّد كلّاً من النواصب

والجوازم باب مستقل، وكانت في الأصل ضمن باب الأفعال، وأفرّد باباً للنكرة والمعرفة وكان في الأصل

ضمن باب النعت. بينما جاء (مظ2) في 25 باباً. حيث نجد الناظم قد تراجع عن تبويب (مظ1) وعاد

إلى التبويب الأصليّ لمتن الأجروميّة، مع مزيد من التنظيم، فأثبتَ بعض الأبواب التي كان حذفها في (مظ1) مثل: "باب مرفوعات الأسماء"، و"باب منصوبات الأسماء"، وجعلَ الأبواب التي تنضوي تحتها فصولاً، وبذلك أصبحت (مظ2) أكثر تنظيمًا وانسجامًا من (مظ1) ومن الأصل المنشور، ممّا يكشف عن دافع آخر من دوافع إعادة النّظم، وهو التنظيم المنهجي لأبواب المنظومة، والسعي إلى تحقيق مزيد من الضبط والانسجام في بنائها.

3. 4. من حيث المحتوى:

3. 4. 1 مطابقة الأصل ومخالفته في المادّة العلميّة:

يختلف الناظمون للمتون المنشورة في مقاصدهم، فبعضهم يهدفُ إلى نظم الكتاب الأصل مع تعديلات وزيادات كثيرة كما فعل شرف الدين العمريّطي (989هـ) في منظومته للأجرومية التي جاءت في 254 بيتا (العمريّطي، 2002)، وبعضهم يهدف إلى نظم الكتاب الأصل دون إضافة أو زيادة في مسأله، وهذا النهج هو الذي اتبعه ابن أبّ في (مظ1)، حيثُ نظم متن الأجرومية نظمًا أمينًا يكادُ يكون مطابقًا للأصل من حيث المسائل النّحوية والمصطلحات والتعاريف وتعداد العوامل، ولم يزدْ إلاّ أمورًا يسيرةً جدًّا، كزيادة لعلّ ضمن حروف الجرّ.

أمّا في (مظ2) فنراه اتخذَ منهجَ التدقيق والتنقيح بالزيادة والإنقاص، ليس في الأبواب والموضوعات الرئيسيّة، فلقد حافظ عليها كما وردت في الأصل المنشور، ولكن في المسائل والأحكام الفرعيّة، حيثُ حذف بعض القضايا وزاد أخرى على حسب ما تقتضيه رؤيته التعليميّة وخبرته في تدريس هذه المتون. فممّا حذفه الناظم المسائل المكرّرة، ك"فصل المعربات"، وسرد حروف الخفض في "باب مخفوضات الأسماء" آخر الكتاب، لأنّها ذُكرت بالتفصيل في بداية الكتاب، كما تجاوز المبالغة في التمثيل لبعض المسائل، كالأمثلة التفصيلية للفاعل المظهر والمضمر.

ويوضّح الجدول 1 المسائل التي زاداها الناظم ولم تُذكر في الأصل المنشور ولا في (مظ1):

الجدول 1: زيادات النّاطم في (مظ 2) على الأصل و(مظ 1)

المسائل المزيدة	الآيات
زيادة اسم "هنّ" في الأسماء الخمسة، وزيادة بعض شروط أعرابها، مع التعبير بالأسماء الستة.	21، 22، 26، 31
حالات بناء الأمر مع التمثيل لها.	38-39
ذكر أغراض التوكيد المعنوي.	82
الإشارة إلى أنّ الظرف يلقّب بالمفعول به.	93
الزيادة في تعداد ظروف المكان والزمان.	93-99
زيادة رفع الإبهام في التّسبب في باب التمييز، وفي أمثله كذلك.	104
زيادة النهي والاستفهام في الاستثناء المنفي.	111
الإشارة إلى الجر بالمجاورة.	133

كما يوضّح الجدول 2 التدقيق في المصطلحات وتلافي بعض المآخذ على الأصل أو (مظ 1):

الجدول 1: تدقيقات في المصطلحات والعبارات

المسائل المدقّقة	الآيات
"والأمر مبيّ على السكون" بدل: الأمر مجزوم، كما في الأصل، و(مظ 1)	38
تلافي اللبس في عبارة الأصل و(مظ 1) في عدّ التّواصب، وذلك بتقديم "أو" وتأخير "الواو والفاء" ليكون المعنى واضحاً سليماً.	41-42
"لا طلبولامه" بدل "لام الأمر والدعاء، ولا في النهي والدعاء" كما في الأصل، و(مظ 1).	44
"وللضرورة" بدل تعبيره في (مظ 1) بـ "في الشعر لا في النثر".	45
"المفعول الذي لم يسم فاعله" كعبارة الأصل، بدل "نائب الفاعل" في (مظ 1).	48
حذف "أغراض حذف الفاعل" التي ذكرها في (مظ 1).	
ذكر "المفعولين" المذكورة في الأصل، والتي لم يبيّنها في (مظ 1).	67
ذكر الفعل الناسخ "سمع" المذكور في الأصل، والذي لم يذكره في (مظ 1).	69
قوله "وازّفع" في باب لا النافية للجنس حين لا يتّصل بها اسمها، بدل قوله "الإهمال" في (مظ 1).	120

إنّ إمعان النظر في الجدولين 1 و 2 يُفصّح لنا عن منهج جديد اتّخذه ابن أبّ في (مظ 2) يختلف عن منهجه في (مظ 1)، فهو يظهر في نظمه الثاني بمظهر العالم المدقّق الذي لم يُعدّ مجرد ناظم لمتن منشور،

بل له آراء وترجيحات واختيارات وتدقيقات، يُحاول من خلالها إصلاح ما وقع في الأجرومية وفي نظمه الأول من نقائص. وهذا في رأينا من أقوى الدوافع التي دعت ابن أب إلى إعادة نظم الأجرومية مرّة ثانية.

4. 3. 2 المصطلحات والتعاريف:

حاول ابن أب في (مظ2) كذلك، أن يكون أكثر دقّة في صوغ التعاريف واستعمال المصطلحات، ومثال ذلك الأمثلة الخمسة، ذكرها في (مظ1) بأوزانها، فقال:

24-وَأَرْفَعُ بِنُونٍ يَفْعَلَانِ يَفْعَلُونَ وَتَفْعَلَانِ تَفْعَلِينَ تَفْعَلُونَ

فلم يذكر للمتعلم حقيقة هذه الأوزان، ولا تسميتها، لذا عدل في (مظ2) إلى صوغ تعريف دقيق يبيّن حقيقة هذه الأفعال، فقال:

23-بِالنُّونِ يُرْفَعُ مَضَارِعُ أَلْفٍ مَتَّصِلًا بِ"وَاوٍ أَوْ يَا أَوْ أَلْفٍ"

وهكذا كان منهجه في كامل المنظومة، يعدل عن العبارة المنتقدة إلى العبارة السليمة، ويتجاوز التعريف الناقص إلى التعريف الدقيق الجامع المانع. ليتأكد لنا أنّ إعادة النظم كان لأغراض علمية اصطلاحية كذلك.

4. 3. 3 التمثيل:

تعدّ الأمثلة من أهمّ الوسائل التعليمية التي تقرب المعلومة للمتعلم وتساعد على فهم واستيعاب القاعدة بطريقة صحيحة فعّالة، ولذا أكثر صاحب الأجرومية من التمثيل، وتابعه النّاطم في كلتا منظومتيه. ففي (مظ1) نجد حوالي 50 مثالاً، تراوحت بين الأمثلة المصنوعة البسيطة، والأمثلة القيمية التي تحمل أدبا أو خلقاً أو حكمة أو وعظاً، كانت في الغالب مخالفة للأمثلة الأصل المنشور، غير أنّها مناسبة وخادمة للقاعدة. وفي (مظ2) نجد حوالي 70 مثالاً، اتّسمت بالدقّة، وغلب عليها البعدُ القيميّ الأخلاقيّ، فبدت فيها روح العالم والمرّي. يقول في باب الفاعل في (مظ1):

49-الْفَاعِلُ أَرْفَعُ وَهُوَ مَا قَدْ أُسْنِدًا إِلَيْهِ فِعْلٌ قَبْلَهُ قَدْ وُجِدَا

50-وَوَظَاهِرًا يَأْتِيَوِيَّ مُضْمَرًا كَ "اصْطَادَ زَيْدٌ وَاشْتَرَيْتُ أَعْفَرًا"

وفي (مظ2) يقول:

46- هَذَا وَإِنَّ الْفَاعِلَ اسْتَمَوْعًا

مَنْقَبِلِهِ فَعَلٌ لَهُ قَدْ رَفَعًا

47- وَظَاهِرًا يَأْتِي وَيَأْتِي مُضْمَرًا

ك: "طَرَقَ الصَّيْفُ وَ جُدْتُ بِالْقِرَاءِ"

على الرغم من تحقيق كلا المثالين للغرض التعليمي بإطلاع المتعلم على صور الفاعل، فإن المثال الثاني يفضل الأول بحمولته القيمية التي ترع في المتعلم صفة الكرم، وتعوده عليها وتحببها إلى قلبه بطريقة غير مباشرة. ويقول في أمثلة الأمر المبني:

39- ك "صُمِّ وَصَلٍ وَادْعُ وَارِضَ بِالْقَضَا

وَأَقْرِضِي وَأَقْرِضُوا وَأَقْرِضَا

وهكذا معظم أمثلة (مظ2) كلها قيم وأخلاق وآداب وفضائل. تكشف عن منهج واضح اتخذه الناظم وهو الارتقاء بالمثُل النَّحْوِيَّة لتحمّل أبعادًا تعليمية وقيمية.

4. 3. 4 الحشو:

الحشو من الكلام- في اللغة- "الفضل الذي لا يُعتمدُ عليه"(ابن منظور، 2014، صفحة 134/4)، والمقصود به هنا تلك العبارات التي يتمم بها النظم الأبيات وليست من صلب المسائل العلمية الخاصة بالنظم، فدورها إتمام البيت وإقامة الوزن، وهي ظاهرة معيبة في المنظومات العلمية، خاصة إذا أكثر منها الناظم.

هذه الظاهرة وإن كانت قليلة عند ابن أب، إلا أنّها في (مظ1) أكثر منها في (مظ2)، حيث أحصينا في (مظ1) حوالي 41 عبارة زائدة في سياقها عن المعنى العلمي. كقوله:

13- الإِعْرَابُ تَغْيِيرُ أَوْ آخِرِ الْكَلِمِ

تَقْدِيرًا أَوْ لَفْظًا فَذَا الْحَدُّ اغْتَنِمَ

قوله "فَذَا الْحَدُّ اغْتَنِمَ" كلام زائد خارج عن التعريف، إنّما جاء به تميمًا للبيت.

ومثل هذا الحشو قلّ بشكل ملحوظ في (مظ2)؛ حيث وجدنا حوالي 11 عبارة فقط، ممّا يُبيّن أنّ الناظم قد سعى إلى تجنّب تلك العبارات والتقليل من الحشو قدر المستطاع، والتركيز على المادة العلمية أكثر، وهذا في رأينا دافع آخر من دوافع إعادة نظم الأجرومية من جديد.

5. خاتمة:

في ختام هذا العمل، وبعد مقارنة مفصّلة بين منظومتي ابن أبّ، شكلياً ومنهجياً ومعرفياً، ورصد مختلف الاتّفاقات والاختلافات بينهما، وصلنا إلى نتيجةٍ توكّد صحّة الفرضية التي انطلق منها البحث، وهي أنّ تعدّد منظومات ابن أبّ لمتن الأجرّوميّة كان لغايات ودوافع علميّة وتعليميّة بالدرجة الأولى، تجلّت في النقاط الآتية:

- السعي إلى تقليل حجم المنظومة قدر المستطاع بما يتوافق مع مستوى المبتدئين، وهذا واضح من المقارنة بين عداد أبيات المنظومة الأولى (154) وأبيات المنظومة الثانية (140). فكلّما كان حجم المنظومة أصغر كان حفظها أيسر، ودراستها أسهل.

- محاولة التنظيم المنهجي لأبواب المنظومة، والسعي إلى تحقيق مزيد من الضبط والانسجام في بنائها. من خلال إعادة التقسيم والتبويب.

- محاولة ضبط التعاريف والمصطلحات بشكل دقيق، وإغناء المنظومة بمعلومات ضروريّة للمتعلّم، تكون أساساً متيناً يبني عليه تعلّماته المستقبلية.

- محاولة إصلاح ما وقع في الأجرّومية وفي نظمه الأول من نقائص ومآخذ علميّة.

- الارتقاء بالتمثيل بتوظيف أمثلة تعليمية وتربويّة في نفس الوقت، تزرع القيم الفاضلة في المتعلم وتنمي حسّه الأدبي.

- التقليل من الحشو والعبارات الزائدة التي كثرت في المنظومة الأولى، ومحاولة الاقتصار على المسائل العلمية الخالصة التي وردت في المتن الأصل.

إذاً، فهذه الغايات والمرامي هي الدوافع الحقيقية لابن أبّ لإعادة نظم الأجرّومية عدّة مرّات، وهي كما نرى، بأبعادها العلميّة والتعليميّة، تُحاول الوصول إلى النموذج المثالي الذي يأخذ بيد المتعلّم ويفتح له باب العلم من أيسر طريق، وتُسفر عن منهج بيداغوجي كان يترسم الشيخ الناظم خطاه ويسعى إلى تحقيقه، خاصة بعد النضوج العلمي، وتراكم الخبرات التعليميّة.

وآخر ما نختتم به هذه الدراسة، هو دعوة الباحثين إلى بعث التراث اللغوي للشيخ محمد بن أبي من جديد، فكثير من مؤلفاته ما تزال مخطوطة مجهولة تنتظر العناية والتحقيق، فمنظوماته الأربع لمتن الأجرومية مثلا، لم تُحقق إلى الآن تحقيقاً علمياً رصيناً في حدود علمنا، ولم تُدرس دراسة أكاديمية تجلّي قيمتها التعليمية، وعسى أن يتحقق ذلك في أقرب وقت.

6. قائمة المراجع:

- ابن الصائغ، محمد بن حسن أبو عبد الله، (2004)، اللوحة في شرح الملحّة، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المملكة العربية السعودية.
- ابن الصائغ، محمد بن حسن أبو عبد الله، (2004)، اللوحة في شرح الملحّة، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المملكة العربية السعودية،
- ابن منظور، محمد أبو الفضل جمال الدين، (2014)، لسان العرب، دار صادر، لبنان.
- الدماميني، بدر الدين، (1994)، العيون الغامرة على خبايا الرمزية، مكتبة الخانجي، مصر.
- الزركلي، خير الدين، (2002)، الأعلام، دار العلم للملايين، لبنان.
- سعد الله، أبو القاسم، (2007)، تاريخ الجزائر الثقافي، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر.
- ضيف، شوقي، (1993)، تيسير النحو التعليمي قديماً وحديثاً، دار المعارف، مصر.
- عادل نويهض، (1980)، معجم أعلام الجزائر، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، لبنان.
- العمري، شرف الدين يحيى، (2002)، نظم الأجرومية، دار الإمام مالك، الجزائر.
- الكيفاني، محمد توفيق بن عمار، (2011)، مختصر الدرّة الكيفانية في شرح نظم عبيد ربّه للأجرومية، دار نور الكتاب، الجزائر.
- محمد أبو عبد الله الجزائري تبركان، (2021)، الدليل إلى شروح الأجرومية، دار الكتب العلمية، لبنان.
- محمد باي بلعالم، (2005)، الرحلة العلية إلى منطقة ثوات، دار هومة، الجزائر.
- مندور، محمد، (2006)، الأدب وفنونه، نخضة مصر، مصر.
- يعقوب، إميل بديع، (1991)، المعجم المفصل في علم العروض والقافية وفنون الشعر، دار الكتب العلمية، لبنان.